

# المقطع السابع

قال الشيخ رحمه الله:

«فصل:

وَالْإِيمَانُ قَوْلٌ بِاللِّسَانِ وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ وَعَقْدٌ بِالْجَنَانِ، يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنْقُصُ بِالْعِصْيَانِ.

قَالَ اللَّهُ - تَعَالَى - : ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥]، فَجَعَلَ عِبَادَةَ اللَّهِ - تَعَالَى - وَإِخْلَاصَ الْقَلْبِ، وَإِقَامَ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ، كُلَّهُ مِنَ الدِّينِ. وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلَاهَا شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ»<sup>(١)</sup>.

فَجَعَلَ الْقَوْلَ وَالْعَمَلَ مِنَ الْإِيمَانِ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [التوبة: ١٢٤]، وَقَالَ: ﴿لِيَزَادُوا إِيمَانًا﴾ [الفتح: ٤].

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ بَرَّةٍ أَوْ خَرْدَلَةٍ أَوْ ذَرَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ)<sup>(٢)</sup>، فَجَعَلَهُ مُتَمَاضِيًا.

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥)، واللفظ له.

(٢) ينظر: صحيح البخاري (٤٤)، ومسلم (١٩٣).

## الشرح:

الكلام على الإيمان في أربعة مباحث:

### المبحث الأول: معناه وأهميته:

• الإيمان في اللغة: بمعنى الإقرار، وأصل اشتقاقه مأخوذ من الأَمْن، وهو طمأنينة النفس، وضد الخوف<sup>(١)</sup>، وذلك لأن الإيمان الشرعي إذا تحقق للعبد حصل له الأَمْن والطمأنينة والسكون، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

وأما في الاصطلاح، فالإيمان عند أهل السنة والجماعة: اعتقاد وقول وعمل، اعتقاد بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح.

فأصل الإيمان في القلب، قال تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤]، وقال - جَلَّ وَعَلَا -: ﴿أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وقال: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦]، ولكن هذه المعرفة القلبية لا تنفع صاحبها إذا لم يتبعها الانقياد بالقول والعمل، وإلا فإن إبليس كان مؤمنا بالله بقلبه، لكنه تكبر وأبى امتثال أمر ربه.

---

(١) ينظر: «لسان العرب» (١٣ / ٢١).

وقول اللسان من مُسمّى الإيمان؛ فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، فَإِذَا قَالُوهَا، وَصَلُّوا صَلَاتَنَا، وَاسْتَقْبَلُوا قِبْلَتَنَا، وَذَبَحُوا ذَبِيحَتَنَا، فَقَدْ حُرِّمَتْ عَلَيْنَا دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ، إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابِهِمْ عَلَى اللَّهِ»<sup>(١)</sup>.

والقول منه ما لا يصح الإيمان إلا به؛ كالنطق بالشهادتين، ومنه ما هو من مكمّلات الإيمان؛ كالذكر والدعاء وتلاوة القرآن ونحو ذلك.

وأما دخول العمل في مُسمّى الإيمان فدلّت عليه دلائل كثيرة، منها قوله تعالى - بعد تشريع التوجه إلى المسجد الحرام في الصلاة، بعد أن كانت القبلة إلى بيت المقدس -: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]، أي: صلاتكم إلى بيت المقدس.

وفي الحديث عن أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ»<sup>(٢)</sup>.

وكما يكون فعل الخيرات من الإيمان، فكذا ترك المحرمات؛ خوفاً من الله - تعالى -، هو من الإيمان، كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرِبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرِبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٩٢).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٢٣).

وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَتَّهَبُ مُهَبَّةً - يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَتَّهَبُهَا - وَهُوَ مُؤْمِنٌ»<sup>(١)</sup>.

وقد اجتمعت هذه الثلاثة - القول والعمل والقلب - في حديث واحد، وهو ما رواه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله ﷺ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، وَأَذْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»<sup>(٢)</sup>.

فهذه الأمثلة الثلاثة جمعت ما سبق، فقول: (لا إله إلا الله): قول باللسان، وإمطة الأذى عن الطريق: عمل بالجوارح، والحياء: أمر قلبي.

• أهميته:

خلق الله الإنسان وركّبه من روح وجسد، ولكل منهما خصائص تختلف عن الآخر، كما أن كلا منهما يحتاج إلى غذاء ليستمر في حياته، فالجسد غذاؤه الطعام والشراب ولو تركهما المرء لمات، والروح غذاؤها الإيمان الذي يمدّها بالحياة الحقيقية الطيبة التي هي النور والسعادة والطمأنينة، قال تعالى: ﴿أَوْ مَن كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢] والمعنى: أو من كان ميتا في الضلالة هالكا حائرا، فأحيينا قلبه بالإيمان.

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٢٤٧٥) وفي مواضع أخرى، ومسلم (٥٧).

(٢) تقدم تخرجه.

الإيمان بالله هو أعظم المطالب، وأجل المواهب، به تطمئن النفوس، وتطيب الحياة، وتنبعث الهمم، ويأنس الضّعيف، ويسلو المهموم، وبه تُنال سعادة الدنيا والآخرة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «أفضل ما اكتسبته النفوس، وحصلته القلوب، ونال به العبدُ الرفعةَ في الدنيا والآخرة = هو العلمُ والإيمان؛ ولهذا قرن بينهما - سبحانه - في قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِئْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ﴾ [الروم: ٥٦]، وقوله: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، وهؤلاء هم خلاصة الوجود ولبُّه، والمؤهلون للمراتب العالية»<sup>(١)</sup>.

### المبحث الثاني: الفرق بين الإسلام والإيمان:

الإسلام والإيمان من الدين، وبينهما تلازم، فإذا أُطلق لفظ الإسلام دخل فيه الإيمان، وإذا أُطلق لفظ الإيمان دخل فيه الإسلام، والفرق بينهما يظهر إذا جُمعا في سياق واحد، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤]، فنفى عنهم الإيمان، وأثبت الإسلام، مما يدل على الفرق.

---

(١) «الفوائد» ص ١٠٣.

وفي الصحيحين عن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَعْطَى رَهْطًا وَسَعْدٌ جَالِسٌ، فَتَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا هُوَ أَعْجَبُهُمْ إِلَيَّ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا لَكَ عَنْ فُلَانٍ؟ فَوَاللَّهِ، إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤْمِنًا، فَقَالَ: «أَوْ مُسْلِمًا»...<sup>(١)</sup>، الحديث.

وفي حديث سؤال جبريل الطويل أنه سأل النبي ﷺ عن الإسلام، فأجابه بقوله: «الإِسْلَامُ: أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»، ثم سألته عن الإيمان فأجابه: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»<sup>(٢)</sup>.

فحاصل الفرق يظهر إذا جُمع بينهما في سياق واحد، فيكون معنى الإسلام الأعمال الظاهرة، ويفسر الإيمان بالأعمال الباطنة.

ويشهد لهذا - أيضا - حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال: «الإِسْلَامُ عِلَانِيَّةٌ، وَالْإِيمَانُ فِي الْقَلْبِ»<sup>(٣)</sup>.

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٢٧) وفي مواضع أخرى، ومسلم (١٥٠).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) ضعيف: أخرجه أحمد في مسنده (١٢٣٨١)، وابن أبي شيبة (٣٠٣١٩)، وضعفه

الأرنؤوط، والألباني في «ضعيف الجامع» (٢٢٨٠).

## المبحث الثالث: مراتب الإيمان وأركانه:

- مما ينبغي أن يعلم في باب الإيمان: أن الناس متفاوتون فيه، وهم على مراتب<sup>(١)</sup>:

المرتبة الأولى: من معه أصل الإيمان، أو مطلق الإيمان:

وهو الحد الأدنى من الإيمان الذي يصح به إسلام العبد، وتثبت به أحكامه، وهو شرط النجاة من الخلود في النار. ويدخل في هذه المرتبة أصحاب الكبائر؛ فهم مؤمنون معهم أصل الإيمان الذي يُعدُّون به من المسلمين.

المرتبة الثانية: الإيمان الواجب:

وهو الإيمان الذي يحمل صاحبه على فعل الواجبات وترك المحرمات.

المرتبة الثالثة: الإيمان المستحب:

وهو تحقيق الواجبات وترك المحرمات، ويزيد على ذلك المسابقة إلى أنواع الخيرات من المستحبات والمندوبات.

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه المراتب في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُاذِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢]. فالمسلم الذي لم يَقم بواجب الإيمان هو الظالم لنفسه، والمقتصد هو المؤمن المطلق الذي أدى الواجب وترك المحرم؛ والسابق بالخيرات هو المحسن الذي عبد الله كأنه يراه.

---

(١) ينظر: «نواقض الإيمان» للوهبي ص ٩٤.

## • أركان الإيمان:

لا يقوم ببيان الإيمان إلا على أركان تحمله، فإذا تخلف ركن منها سقط البناء، وهذه الأركان والأصول ستة هي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره. وقد جاء ذكر هذه الأصول في القرآن الكريم والسنة النبوية في مواطن عديدة منها:

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ ءَالْكِتٰبِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ ءَالْكِتٰبِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللّٰهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءَالْيَوْمِ ءَالْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلٰلًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

وما ثبت في صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ المشهور بحديث جبريل: أن جبريل سأل النبي ﷺ فقال: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللّٰهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، ءَالْيَوْمِ ءَالْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»<sup>(١)</sup>.

---

(١) تقدم تخرجه.



## المبحث الرابع: زيادة الإيمان ونقصانه:

• المذهب الحق الذي عليه أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزيد وينقص؛ لأدلة كثيرة منها:

أولاً: قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

ثانياً: قوله - عز وجل - : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: ٢].

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤].

رابعاً: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون - أو بضع وستون - شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»<sup>(١)</sup>، ففي هذا الحديث أن الإيمان فيه أعلى وأدنى، وإذا كان كذلك كان قابلاً للزيادة والنقصان بحسب وجود هذه الشُّعب واتصاف العبد بها.

والأدلة في هذا كثيرة تقرر أن الإيمان يزيد وينقص، وهو محل إجماع بين السلف، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.

---

(١) تقدم تخريجه.

ولما تحقق لدى سلف الأمة وصدرها وخيارها هذه المسألة وأنه يزيد وينقص، كانت عنايتهم به عظيمةً ومُقدَّمةً على كل أمر، فكانوا يتعاهدون إيمانهم، ويتفقدون أعمالهم، ويتواصون بينهم.

كان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول لأصحابه: «هلموا نَزِدْ إيماناً»<sup>(١)</sup>.

وكان عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «اجلسوا بنا نَزِدْ إيماناً»<sup>(٢)</sup>، وكان يقول في دعائه: «اللَّهُم زدنا إيماناً و يقيناً وفقهاً»<sup>(٣)</sup>.

وكان عبد الله بن راحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يأخذ بيد النفر من أصحابه فيقول: «تعالوا نؤمن ساعة، تعالوا فلنذكر الله ولنزِدْ إيماناً بطاعته، لعله يذكرنا بمغفرته»<sup>(٤)</sup>.

وكان معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «اجلسوا بنا نؤمن ساعة»<sup>(٥)</sup>.

وكان أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «من فقه العبد أن يعلم أمز داهو أو متقص (أي: من الإيـمان)، وإن من فقه العبد أن يعلم نزغات الشيطان، أنى تأتيه»<sup>(٦)</sup>.

---

(١) أخرجه اللالكائي في «شرح اعتقاد أهل السنة» (١٧٠٠).

(٢) أخرجه السيـهقي في «الشعب» (٤٤).

(٣) أخرجه اللالكائي في «شرح اعتقاد أهل السنة» (١٧٠٤).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٠٤٢٦).

(٥) أخرجه اللالكائي في «شرح اعتقاد أهل السنة» (١٧٠٦).

(٦) أخرجه اللالكائي في «شرح اعتقاد أهل السنة» (١٧١٠).

وكان عُمَيْرُ بن حبيب الخطمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «الإيمان يزيد وينقص، فقليل: وما زيادته ونقصانه؟! قال: إذا ذكرنا الله - عز وجل - وحمدناه وسَبَّحناه فذلك زيادته، وإذا غفلنا وضيعنا ونسينا فذلك نقصانه»<sup>(١)</sup>.

وسُئِلَ الأوزاعي رَحِمَهُ اللَّهُ عن الإيمان: أيزيد؟ قال: «نعم، حتى يكون كالجبال»، قيل: فينقص؟ قال: «نعم، حتى لا يبقى منه شيء»<sup>(٢)</sup>.

### • أسباب زيادة الإيمان:

أولاً: التعرف على الله - تعالى - بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى:

وهذه الأسماء ماثورة في نصوص الكتاب والسنة، وقد اجتهد العلماء في تتبعها وشرحها، وثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا - مِئَةً إِلَّا وَاحِدًا -، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»<sup>(٣)</sup>، والمراد بإحصائها في الحديث: إحصاء ألفاظها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها دعاء عبادة ودعاء مسألة.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٠٣٢٧).

(٢) أخرجه اللالكائي في «شرح اعتقاد أهل السنة» (١٧٤٠).

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري (٢٧٣٦)، وفي مواضع أخرى، ومسلم (٢٦٧٧).

ومن قويت معرفته بربه؛ انفتحت له أبواب المعارف، وانبعثت نفسه للطاعة والعبادة، وعظمت خشيته من ربه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

وقال بعض السلف: من كان بالله أعرف؛ كان منه أخوف<sup>(١)</sup>.

ثانيا: قراءة القرآن الكريم بالتدبر:

القرآن وصفه من تكلم به بأنه هدى ورحمة وشفاء وبُشرى، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، والغاية من إنزال القرآن هي تدبره والعمل به، كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ [ص: ٢٩]، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤].

قال علي رضي الله عنه: «لا خير في قراءة لا تدبر فيها»<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن القيم رحمه الله: «فتبارك الذي جعل كلامه حياة للقلوب، وشفاء لما في الصدور، وبالجملة فلا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبر والتفكير؛ فإنه جامع لجميع منازل السائرين، وأحوال العاملين، ومقامات العارفين»<sup>(٣)</sup>.

---

(١) ينسب هذا القول للإمام أحمد رحمه الله كما في «شعب الإيمان» (٢/ ٢٣٠).

(٢) أخرجه الدارمي في سننه (٣٠٦)، وضعفه محققه.

(٣) «مفتاح دار السعادة» (١/ ١٨٧).

### ثالثا: النظر في سيرة النبي الكريم ﷺ:

فهو الرحمة المهداة والنعمة المسداة، بعثه الله رسولا إلى الثقلين بشيرا ونذيرا، وأوجب على العباد طاعته وتوقيره، شرح له صدره، ورفع له ذكره، ووضع عنه وزره، وكَمَّلَ له خُلُقَه.

سُئِلَ علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كيف كان حُكْمُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قال: كان والله أَحَبَّ إلينا من أموالنا وأولادنا، وآبائنا وأمهاتنا، ومن الماء البارد على الظمأ<sup>(١)</sup>.

وقال إسحاق التجيبي: كان أصحاب النبي ﷺ بعده لا يذكرونه إلا خَشَعُوا واقشعرت جلودُهم وبَكَوا<sup>(٢)</sup>.

وقال مصعب بن عبد الله: كان الإمام مالك إذا ذكر النبي ﷺ يتغير لونه وينحني حتى يصعُبَ ذلك على جلسائه<sup>(٣)</sup>.

### رابعا: التفكير في آيات الله الكونية:

وآياته الكونية هي مخلوقاته التي أبدع صنعها؛ كالشمس والقمر والنجوم والجبال والأشجار والأنهار والبحار والدواب والطيور وغير ذلك.

---

(١) «الشفأ» (٢/ ٢٢).

(٢) «الشفأ» (٢/ ٢٦).

(٣) «الشفأ» (٢/ ٤٢).

وكثُر في القرآن الإشارة والحث على التفكير، قال تعالى: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٠١]، وقال - أيضا -: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤]، وقال - جلَّ ذكره -: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ [العنكبوت: ٢٠]، وقال - سبحانه -: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]، فسبحان مَنْ أبدع الخلق وأتقنه من الذرة إلى المجرة.

|                              |                                           |
|------------------------------|-------------------------------------------|
| تأمل في نبات الأرض، وانظر    | إلى آثار ما صنع المليك                    |
| عيون من جُئِنِ شاخصات        | بأحداق هي الذَّهَبُ السَّيِّكُ            |
| على قُضْبِ الزَّبرجدِ شاهدات | بأنَّ اللهَ ليسَ لهُ شريكُ <sup>(١)</sup> |

---

(١) تنسب هذه القطعة لأبي نواس، كما في «اللطائف» للثعالبي ص ٢٠٥.

### خامسا: التقرب إلى الله بالطاعات:

فهذا من أسباب زيادة الإيمان الجلية، فيجتهد العبد في أعمال الطاعات عموما، ما يتعلق منها بالقلب؛ كعبادة الإخلاص والمحبة والتوكل والرجاء والخوف والرضى والصبر والتقوى وغيرها، وما يتعلق باللسان؛ كقراءة القرآن وذكر الله عموما والصلاة على نبيه ﷺ، وأعمال الجوارح؛ كالصلاة والصيام والحج والصدقة وطلب العلم ومجالسة الصالحين وغيرها. فيبادر العبد أنفاسه ويغتنم عمره القصير وأيامه المحدودة في التزود قبل الرحيل.

وزيادة الإيمان بالطاعات بحسب جنس العمل وكيفيته وقدره، فجنس الفرض أفضل من النفل. وكلما كانت كيفية العمل أحسن بتحقيق الإخلاص والمتابعة فيه كانت زيادة الإيمان به أكثر، فرب رجلين يصليان ركعتين نافلة لكن بينهما كما بين السماء والأرض. وأما القدر: فكلما كثر العمل الصالح كثرت زيادة الإيمان به؛ لأنه يزيد بزيادته.

### سادسا: ترك المعاصي خوفا من الله:

فمن ترك المعصية مع قدرته عليها؛ خوفا من الله لا عجزا أو حياء من الناس، أو خوفا من الفضيحة، أو لأنها لم تخطر على باله بل تركها خوفا من الله - تعالى -، فليُبشر براحة وسعادة يجدها في قلبه، مع ما يدخره الله له من ثواب، ﴿وَأَمَّا

مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾  
[النازعات: ٤٠-٤١].

### • مظاهر ضعف الإيمان:

من مظاهر ضعف الإيمان: قسوة القلوب، وكثرة الذنوب، وقحط العيون التي لا تدمع من خشية الله - تعالى -.

ومنها: ضعف القلب في سيره، وثقل الطاعة على النفس، وقلة الاهتمام لمواسم الخيرات، وعدم الاكتراث لفواتها؛ فتفوت الرجل صلاة الجماعة والسنن المؤكدة، ويمر رمضان وعشر ذي الحجة، والقلب بارد!.

ومنها: فقد الإحساس بلذة العبادة، وحلاوة المناجاة، وطول القيام، وعدم التأثر بقراءة القرآن، وسهولة الوقوع في المعاصي، وضعف جانب الحياء من الله، وعدم استشعار مقام المراقبة والقرب! قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤]، فانظر إلى قلبك في الصلاة وقراءة القرآن والذكر والدعاء، أهو حاضر حي؟ أم غافل لاه؟.

ومن مظاهر ضعف الإيمان المتشعبة: ضيق الصدر وسوء الخلق، فتجد أحدهم ضَيِّقَ الْعَطَن لا يتحمل كلمة من أحد، وقد كثرت شكوى الناس من ذلك. وفي



الحديث أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الْإِيمَانُ: الصَّبْرُ وَالسَّمَاحَةُ»<sup>(١)</sup>، ووصف ﷺ المؤمن بأنه: يَأْلَفُ وَيُؤْلَفُ، وأنه لا خير فيمن لا يَأْلَفُ ولا يُؤْلَفُ<sup>(٢)</sup>.

ومن مظاهر ضعف الإيـمان المتشـرة - أيضا - : قلـة الاكـثـرات والاهـتمام بمـصاب المسلمـين، وضـعف التأثـر بما يحـل عليهم من كـرب وكوارث، وفي الحديث عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ، يَأْلَمُ الْمُؤْمِنُ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ، كَمَا يَأْلَمُ الْجَسَدُ لِمَا فِي الرَّأْسِ»<sup>(٣)</sup>.

ومن مظاهر ضعف الإيـمان المتشـرة - أيضا - : الفزع والجزع عند المصائب والأزمات، فترى أحدهم إذا أصيب بمصيبة في نفسه من مرض أو غيره، أو في ماله بخسارة أو حريق أو غيرهما، أو في ولده بموت أو مرض أو غير ذلك من صور البلاء = خارت قواه، وضاعت نفسه، واسودَّت الدنيا في عينه، وركبته الهموم، وساءت منه الظنون، ولو كان قوي الإيـمان لرأيتـه قوي القلب، رابط

(١) صحيح بطرقة: أخرجه أحمد في المسند (١٩٤٣٥)، من حديث عمرو بن عبسة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وله طرق وشواهد صححه بها الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٥٥١).

(٢) ينظر: مصنف ابن أبي شيبة (٣٤٥٤٤)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٨٩٧٦)، و«شعب الإيـمان» (٧٧٦٨).

(٣) صحيح: أخرجه أحمد في مسنده (٢٢٨٧٧)، والطبراني في الكبير (٥٧٤٣)، وصححه الألباني في الصحيحة (١١٣٧).

الجأش، صابرا ثابتا محتسبا؛ لأنه يوقن أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

